

بسم الله الرحمن الرحيم

الرغبة والإرهاب تضاد المفهومين في الفكر الإسلامي

ورقة عمل

لمؤتمر الإرهاب في ضوء الشريعة

جامعة البلقاء التطبيقية - كلية اربد

جامعة اربد الأهلية

محاضر غير متفرغ

إعداد

د. نوال أسعد محمد شرار

٢٠٠١هـ - ٢٠٠١م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، أشرف الانبياء والمرسلين وآله وصحبه أجمعين، وعلى من اهتدى بهدية واتبع سنته إلى يوم الدين وبعد... إن الصراع بين الحق والباطل، بدأ مع بداية الخلق، وسيظل فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد يبدو للبعض أن الباطل ينتصر في بعض الأحيان، ولكنه انتصار دنيوي مؤقت لا يلبث أن يهزم بعدها وينتصر الحق.

يحاول أعداء الإسلام اليوم جاهدين، تصوير الإسلام على أنه دين التطرف والعنف والإرهاب، ويحاولون بثتي الطرق أن يلصقوا فيه هذه الفرية بإثارة العديد من التهم حول تعاليم هذا الدين الحنيف، بحيث تصبح كلمة مسلم مرادفة لكلمة إرهابي ومتطرف وأصولي، يساندونهم في ذلك أجهزة الإعلام الغربي، وأحياناً العربي بتصوير المسلمين بصورة تغاير حقيقة الإسلام.

إن اتهام الإسلام بالجمود "تحت مصطلح الأصولية" وبالعنف والتطرف ومن ثم بالإرهاب، ووجود أذان صاغية لهذه التهم وترويضها عالمياً، ما هو إلا جولة للباطل على الحق، وواجبنا نحن المسلمين أن نخرج الإسلام من دائرة الاتهام الدائمة وإخراجه من دائرة الدفاع ليظهر جلياً للعالم ويلمسوا صلاحه للبشرية جمعاء كما أراده تعالى.

ومن هنا ظهرت فكرة مشاركتي بهذا المؤتمر المواكب للأحداث العالمية لالقي الضوء على مفهوم الرهبة، والمفهوم الحديث للإرهاب، وهل له مكان في الدين الإسلامي، وهل الإسلام صنو الإرهاب، كما يدعي أعدائه أم هو الإرهاب المتأسلم. وما دور الرهبة في مكافحة الإرهاب.

إن الإسلام دين الرحمة، لا يمكن أن يكون صنو الإرهاب، إلا أن الفكر الإسلامي وهو المحاولات العقلية التي قام بها المسلمون على مر العصور، لترجمة فهمهم للإسلام بصورة عملية لم يخل في فترات زمنية من تشويش أدى إلى فهم يغاير حقيقة جوهر الدين، إما لدافع ديني متطرف، أو سياسي، أدى إلى مجاوزة الحدود، فهناك تناسب طردي بين نقاء الفكر الإسلامي من أي رواسب دينية تدعو إلى الإرهاب وبين صفاء المنابع التي ينهل منها هذا الفكر.

لذلك أثرت أن ابتداء بمقومات ضرورية بين يدي هذا البحث تتمثل في كشف النقاب عن النقاط التالية:

أولاً: مفهوم الرهبة في الإسلام والإرهاب المعاصر، ثم موجز عن نشأة الإرهاب وأنواعه وأساليبه.

ثانياً: موقف الإسلام من الإرهاب من خلال تفسير الآيات التي اتهمت بالإرهاب وتحليل لبعض العقوبات التي رتبها الإسلام للأعمال الإرهابية كالحرابة والبغى والصيال، ثم دور الأخلاق الإسلامية في مقاومة الإرهاب، وهل يحمل الجهاد في الإسلام معنى الإرهاب.

ثالثاً: موقف الفكر الإسلامي من الإرهاب وهل اعتبره يوماً مبرراً دينياً.

المفهوم اللغوي للرغبة والارهاب

الرغبة والارهاب مصدر للفعل رهب، وهو الفزع والخوف بالكسر يرهب رغبة ورهباً بالضم اي خاف، ورهب الشيء رهبا خافه والاسم الرهب، ورجل رهبوت، ويقال رجل رهبوت حير من رحموت اي لأن ترهب حير من أن ترحم.

وترهب غيرد إذا توعدده، والرهباء اسم من الرهب ونقول الرهباء من الله والرهباء اليه.

وفي حديث الدعاء ورغبة ورهبة اليك أي خوفاً وفزعاً واسترهبه، أخافه وفزعاه، وترهب الرجل إذا أصار راهباً يخشى الله تعالى، والراهب المتعبد في الصومعة، وكانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا وترك ملاذها أو الزهد فيها، وبهذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام "عليكم بالجهاد فإنه رهبانية أمتي" يريد أن الناس يتركوا الدنيا ويذهبوا فيها.

ويأتي الرهب بمعنى السهم الدقيق أو النصل الرقيق، وهو أيضاً عظم الصدر^(١). ولقد ورد في مجمل اللغة أن أصل اشتقاق الرهبة من الرهب وهو الخوف، والرهابة عظم في الصدر مشرف على البطن، والرهب الناقة المهزولة، والرهاب الرقاق من النصال والترهب التعبد.

أما الإرهاب، فهو قدع الإبل عن الحوض بمعنى اخافتها^(٢) ولم يرد الرهب بهذا المصدر إلا في هذه الصورة.

من هذا نتبين أن الرهبة في معاجمنا العربية تعني الخوف والفزع من الله تعالى والرغبة إليه بعدم انتهاك حرماته، وواضح معنى هذا أن أصل الرهبة من الله تعالى ولا تكون لغيره.

وبذلك فإنني لم أجد في المعاجم ما يشير إلى المعنى اللغوي للإرهاب بالمفهوم الحديث، إلا أن الموسوعة البريطانية عرفت أنه "الاستخدام المنتظم للرعب أو العنف الذي لا يمكن التكهن به ضد الحكومات والجمهور والأشخاص، لتحقيق هدف سياسي"^(٣).

(١) ابن منظور. لسان العرب. ج ٥، ط ٣، ص ٣٣٧.

(٢) أبو الحسين اللغوي. مجمل اللغة. ج ١، ص ٤٠١.

(٣) إبراهيم نافع. كابوس الإرهاب وسقوط الاقنعة. ص ١٦.

المفهوم الاصطلاحي:

الرهبية: القيام بالاعمال التي يستلزمها طول الخوف من الله تعالى واستمراره بالامتثال بأوامره والبعد عن انتهاك حرمانه^(١).

اما الإرهاب: فإنه مصطلح معاصر اختلف فيه إلى حد التضاد، فلقد كثرت تعريفاته وتنوعت أشكاله حتى اقتربت من المنتين تعريفاً وسأختصر ذلك بأبرز الأنواع وأرجح تعريفاً له، وهي على نوعين، الأول الإرهاب الدولي، والثاني الإرهاب الداخلي.

١. الإرهاب الدولي: ليس له تعريفاً محدداً واضحاً، إلا أن أرجح التعريفات هو قيام الدولة من خلال أجهزتها القمعية بانتهاكات بليغة بحقوق الإنسان في التعذيب والقتل وضرب الشعب بالأسلحة الكيماوية والصواريخ والإخفاء القسري والإعدامات والتعذيب للبشر، وإهدار حقوق الإنسان المعروفة في الإعلان العالمي والمعاهدات الدولية والتدخل في شؤون الدولة الأخرى^(٢).

ومن الجدير بالذكر أنه حصلت خلافات عميقة بشأن تعريفه لكونه يمثل تفسيرات متنوعة باختلاف المفاهيم الفلسفية والسياسية والاجتماعية^(٣).

٢. الإرهاب الداخلي:

٢-أ. الإرهاب السياسي، التي تمارسه الفئة الحاكمة في الدولة ضد الخارجين عليها من أجل الاحتفاظ بالامتيازات التي تجنيها جراً وجودها بالسلطة.

٢-ب. الإرهاب الاقتصادي، وهو الذي يمارس على الصعيد الداخلي بأن تعمل الدولة الحاكمة لصالح طبقة أو فئة أخرى^(٤).

٢-ج. الإرهاب الاجتماعي، الذي يقوم بين فئات المجتمع الواحد، ويكون قائماً على التفاوت بين فئات المجتمع، فئة تسعى إلى المساواة بين الأفراد، وأخرى تحاول الاحتفاظ بالمكاسب التي تتمتع بها.

٢-د. الإرهاب الانفصالي، وهو الذي تسعى فيه فئة عرقية أو دينية إلى الانفصال عن الدولة المركزية لشعورها بالاضطهاد.

(١) أبو هلال العسكري. الفروق في اللغة، ص ٢٣٦.

(٢) الإنترنت www.Kurdmedia.com

(٣) د. محمود عوض اليزايمه/ الجديد في القضايا الدولية المعاصرة، ص ٣٣.

(٤) المصدر السابق ص ٤٣.

٢- هـ. الإرهاب الأيديولوجي، وهو محاولة فريق الوصول للسلطة لتطبيق النظام الذي تعتقه.

٢- و. الإرهاب الديني، وهو من التعريفات الذي اختلف فيها أيضا، ومحصلة ذلك قيام فريق من مؤيدي دين معين للوصول إلى السلطة لتعظيم مبادئ الدين الذي يعتقه^(١) وفي الوقت الراهن أصبح المقصود الأول بذلك الدين الاسلامي.

هذا ولقد صنف الدكتور أحمد النل نوعا ثالثا من الإرهاب أسماه، الإرهاب الذي تمارسه منظمات التحرير، وهو ما اصطلح عليه كثير من الباحثين باسم المقاومة.

وبعد استعراض هذه التعريفات للإرهاب يمكن استخلاص بعض السمات للعمل الإرهابي وهي:

١. الإرهاب عمل عنيف يعرض الأرواح والممتلكات للخطر ويخلق حالة من الفرع والخوف والقلق ويسلب الناس أمنهم.
 ٢. الإرهاب عمل موجه إلى الأفراد أو المؤسسات أو المصالح وقصده تحقيق أهداف معينة.
 ٣. الإرهاب يقوم به أفراد أو جماعات مستقلون أو مدعومون من دولة ما.
 ٤. الإرهاب يحمل أكثر من تفسير فالإرهابي من نظر جماعة هو محارب من أجل الحرية في نظر الآخرين.
 ٥. الإرهاب له عواقب قد تتعدى الحدود الوطنية أو الإقليمية.
 ٦. الإرهاب قد يكون ردا على حالة ظلم قائمة، وفي هذه الحالة ينتقي وجود الإرهاب إذا كانت هناك عدالة سياسية أو اجتماعية.
 ٧. الإرهاب يرفض السلطة بمختلف أشكالها.
 ٨. الإرهابيون أناس أدى بهم فقدان الأمل والإحباط إلى القيام بأعمال إرهابية.
- إن التعريفات الاصطلاحية للإرهاب لا يمكن بأي حال ضبطها لأنها تخضع لعدة عوامل تختلف من شخص إلى آخر، لذا فإنه من الصعب العثور على تعريف جامع مانع لظاهرة الإرهاب^(٢).

(١) الإنترنت مصدر سابق.

(٢) د. محمد الهزايمة، الحديد في القضايا، مصدر سابق، ص ٣٧.

نشأة الإرهاب المعاصر.

نستطيع ان نقول ان الارهاب المعاصر ظاهرة اوروبية المنشأ، مع ان جذوره ضاربة بالقدم، لكنه كاحد مظاهر الاضطراب السياسي في العصر الحديث، بدأ في أواخر القرن الثامن عشر، ففي عهد (الرهبنة) في فرنسا أثناء الثورة الفرنسية عام (١٧٩٣م) مارس بعض زعماء فرنسا العنف السياسي بنطاق واسع من قتل وقطع رؤوس واعتقال، وكذلك فقد مارست الثورة الفرنسية نفسها عام (١٧٨٩م) الإرهاب بمفهومه الحديث باسم الشعب ودفاعا عن الشعب.

وخلال القرن التاسع عشر ظهرت عدة حركات ومنظمات استخدمت الإرهاب لبلوغ أهدافها السياسية وهي الفوضوية والعدمية، ورفض السلطة ورفض السلطة بكافة أشكالها وهدم المؤسسات وتجميد حرية الفرد أمثال (الألوية الحمراء) في إيطاليا، "والعمل المباشر في فرنسا" وغيرها من الحركات، وجميع هذه المنظمات كان تسلك الأسلوب الإرهابي نفسه.

وفي القرن العشرين ظهر في أوروبا مفكرون وفلاسفة أسبغوا على العنف والإرهاب الشرعية كرد فعل مشروع على ممارسات المجتمع الرأسمالي تجاه الفرد، وفيما بعد تطور استخدام مصطلح الإرهاب بعد الحرب العالمية الثانية بظهور الأحزاب والتكتلات العسكرية والاقتصادية، وممارسة الولايات المتحدة الأميركية لسياسة القطب الواحد ووصف كل خارج عن إطار هذا القطب "بالإرهاب".

وعليه نتبين حقيقتين هامتين في سبب خلو معاجنا العربية من مصطلح الإرهاب:
الأول: أن الإرهاب بالمفهوم الحديث ظاهرة أوروبية النشأة.
الثانية: إن أمريكا طورت مصطلح الإرهاب لتحقيق أهدافها في بسط نفوذها على العالم^(١).

أساليب الإرهاب:

لا بد من المرور السريع على أساليب الإرهاب لعرضها على الفكر الإسلامي ومعرفة مدى علاقته بها، ويمكن تلخيص هذه الأساليب التي تمارسها المنظمات الإرهابية بما يلي:

(١) د. محمد الهزائمية، مصدر سابق، ص ٤٤-٤٦.

١. الإغتيال السياسي، وهو استخدام العنف والتصفية الجسدية بحق شخصيات سياسية بهدف خدمة غرض سياسي، وهي ظاهرة قديمة جدا في المجتمعات الانسانية قد تعود الى هابيل وقابيل ابني آدم عليه السلام.
٢. حرب العصابات، وقد أخذت أبعادها الهامة بعد نجاح الثورة الكوبية عام ١٩٥٩م والتي أصبحت فيما بعد تعني الخيار الامثل في أعمال المقاومة.
٣. احتجاز الرهائن. وهي عملية توقيف قسري لشخص محايد ليس طرفا في النزاع بقصد المساومة وفرض الشروط السياسية أو العسكرية أو المالية على الخصوم. وهي ظاهرة قديمة عرفت منذ القرن السابع والعشرين قبل الميلاد وفي هذا النوع تختلف معاملة الرهائن عن معاملة الأسرى كونهم أشخاص ذو مكانة عالية. وهذا النوع من الإرهاب يمارس اليوم على نطاق واسع شمل معظم القطاعات.
٤. خطف الطائرات، وهو الاستيلاء على الطائرة اثناء تحليقها عن طريق اللجوء الى التهديد باستخدام العنف وإجبار طاقمها على تغيير وجهة سيره نحو مطار محايد أو صديق لفرض شروط المختطفين، ولقد شهد العالم ما بين عامي (١٩٥١-١٩٧٠) ١٦٤ حادثة اختطاف^(١).
٥. حجز السفن، لإرغام الدولة صاحبة السفن على إجابة طلب المحتجزين وتنفيذ شروطهم.
٦. إلقاء القنابل بهدف القتل وإثارة الرعب، وتقوم به عادة الدول الكبرى تجاه الدول الضعيفة لإرغامها على تلبية طلباتها، مخالفة بذلك الشرعية الدولية.
٧. الاستعمار الاستيطاني، ويعني قيام دولة بضم أرض مملوكة لدولة أخرى بدافع استعماري أو نشاط اقتصادي.

(١) هيثم انكيلاني، إرهاب الدولة بديل الحرب في العلاقات الدولية، مجلة الوحدة، العدد ٦٧، ص ٣٦.

موقف الإسلام من الإرهاب

وجئت اصابع الاتهام في الآونة الأخيرة الى الإسلام على أنه دين متطرف يدعو الى العنف والارهاب ويشجع عليه، حتى زعم البعض بأن "العنف مرض قديم تتغرس جيناته بعمق في الثقافة العربية الإسلامية وهي تؤله القوة وتخضع لها"^(١).

والسؤال، هل الإسلام صنو الإرهاب أو أنه يبيحه في حالات معينة وما حكم الإسلام في الإرهاب بمفهومه المعاصر؟ وللرد على ذلك فإن الإسلام ليس دين قتل أو عنف وأنه يحرم الإرهاب بمفهومه المعاصر بكافة أساليبه سابقة الذكر. ولتدليل على ذلك سأعرض لعدة حقائق.

الأولى: الإرهاب والقرآن الكريم.

ثمانية مواضع في القرآن الكريم وردت فيها مشتقات الفعل "رهب"، بمدلولات مختلفة وهي:

١. قال تعالى: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون" البقرة (٤٠).
- والخطاب لبني إسرائيل بأن اتقون بالتزام عهدي الذي عاهدتكم عليه بالتوراة من الإيمان بالله وبرسله وخاصة محمد خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وسلم)^(٢)
- فالرهبنة هنا التقوى بعدم انتهاك حرمة الله والتزام العهد.
٢. قال تعالى: "قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاعوا بسحر عظيم" الأعراف (١١٦).
- استرهبوهم، خوفوهم حيث تخيلوها حيات تسعى^(٣).
- فالرهبنة هنا الخوف والفرع من شئ مرعب غير مألوف.
٣. ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون "الأعراف، (١٥٤).

(١) د. خالص حني، مقال ظاهرة العنف الجزائري محاولة للفهم، مجلة العربي.

(٢) د. وهبة الزحيني، تفسير المنير، ص ١٥٩، ج ١.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٤، ج ٩.

وتفسير لربهم يرهبون أي يخافون، والرهبة أشد من الخوف فهي استمرار الخوف^(١).

٤. "لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون" الحشر (١٣)

أي انكم ايها المسلمون أشد خوفا وخشية في صدور المنافقين أو اليهود من الله، فهم يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله. وذلك الخوف بسبب أنهم قوم لا يعلمون قدر عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته، ولو كان لهم فقه لعلموا أن الله سبحانه أحق بالرهبة منكم.

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة النساء الآية (٧٧) "إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية"^(٢) والرهبة هنا الخوف والفرع من القوم الأشداء.

٥. "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم" الأنفال (٦٠).

معنى ترهبون هنا أي توقعون بهم الخوف المقترن بالإضطراب، ونلاحظ أن "قوة" جاءت نكرة تفيد العموم لتشمل الإعداد المادي بمختلف الأسلحة المناسبة للعصر المتطورة حسبما يوجد عند العدو، وتشمل أيضاً الإعداد المعنوي والروحي من حفز المواهب والقوى واعداد الجيل اعداداً حربياً وتسليحه بالعقيدة الإسلامية وبالأخلاق الدينية وبغير ذلك لا نصر على العدو.

عدو الله وعدوكم، هم في الماضي كفار مكة والآن كل من يعادي الإسلام ويتآمر عليه وعلى المسلمين.

وأخرين من دونهم أي غيرهم لا تعلموهم وهم المنافقون واليهود وكل من يضمّر الشر ويظهر الخير^(٣)

الرهبة هنا تعني الخوف من القوة بشتى أنواعها المادية والمعنوية وقد أورد سيد قطب في تأويل معنى الأمر بالإعداد: أربعة أهداف هي^(٤):

١. توفير الأمن لاتباع هذا الدين فلا يخافوا من الفتنة، وترداد تقتلهم بأنفسهم.
٢. إرهاب أعداء الله فلا يفكروا في الاعتداء على "دار الإسلام" التي تحميها تلك القوة.

(١) المصدر السابق، ص ١١٠، ج ٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٧، ج ٢٨.

(٣) المصدر السابق، ص (٤٨-٤٩)، ج ١٠.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ص (٤٨-٥٠)، ج ١٠، ط ٧.

٣. أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير الإنسان.

٤. أن تحضم هذه القوة، كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية.

أما معنى ترهبون فهو القاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون والذين لا يعنموهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم، والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا "مرهوبين" في الأرض.

ومعنى ترهبون في الآية، لا يعني بالضرورة القيام بالأعمال الإرهابية كما يحلو للبعض أن يفسرها أو يدخل للإسلام من قبلها، وإنما إثارة الرهبة في قلوب الأعداء حتى لا يفكروا بالاعتداء على المسلمين ودليل ذلك قوله تعالى "وآخرين من دونهم لا تعلموهم الله يعلمهم" فلقد عطف على عدو الله وعددكم وهذا يعني وقوع نفس الفعل على الأنواع الثلاثة، ومن المؤكد أنه غير الأعمال والممارسات الإرهابية.

"وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو إله واحد فأى فارهبون" النحل (٥١).

"فارهبون" أي خافون دون غيري، والرهبة هنا الخوف^(١).

٧. "فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه أنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين" الأنبياء (٩٠)، أي أن الأنبياء عليهم السلام ومنهم زكريا وزوجة كانوا يبادرون إلى طاعتنا والتقرب إلينا وإلى فعل الطاعات ويدعوننا رغبة في رحمتنا وفضلنا وخوفا ورهبا من عذابنا وعقابنا وكانوا لنا متواضعين متذللين.

٨. "أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهنان من ربك" القصص (٣٢).

من الرهب: من الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك، وهي فتحة القميص من جهة الرأس، وعبر عن اليد بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطير.

ومعناه: أي وضع يدك على صدرك يذهب عنك ما تجده من الخوف، فكان إذا خاف من شيء ضم إليه يده فإذا فعل ذلك ذهب ما طرأ عليه من الخوف قال ابن عباس "كل خائف إذا وضع يده على صدره زال خوفه"^(٢)

(١) التفسير الخير، مصدر سابق، ص ١٥١، ج ١٥.

(٢) المصدر السابق، ص (٩٦-٩٧)، ج ٢٠.

الرغبة هنا تعني الخوف من الشيء الطارئ غير المتوقع. وكلمة الرهبة في الآيات السابقة كانت لحكمة عظيمة، وهي أن الرغبة تعني طول الخوف واستمراره. ولذلك مثيل للراهب راهب لأنه يديم الخوف فكان أوقع من كلمة (الخوف)^(١).

من استعراض تفسير هذه الآيات نستنتج أن مشتقات الفعل (رهب) وردت في القرآن بثمان آيات تحمل ثلاثة معان هي:-

الأول: وردت في أربع آيات بمعنى الخوف والخشوع من الله تعالى، ذلك بالتزام عهده والبعد عن انتهاك حرمانه وهو المعنى الحقيقي للرغبة بالمفهوم والفكر الإسلامي.

الثاني: بمعنى الخوف والفرع من شيء غير مألوف كفرع سيدنا موسى عليه السلام من تغيير لون يده وفرع قوم فرعون من السحر وتحول العصي والحبال إلى حيات تسعى.

الثالث: خوف الكفار من المسلمين لأمرين:

أ. جهلهم بعظمة الله التي زودت المسلمين بالقوة والعزة.

ب. خوفهم من الإعداد المادي الذي يقوم به المسلمون امتثالاً لأمر الله تعالى في الدفاع عن الدين.

كل المعاني السابقة لا يظهر فيها حقيقة الإرهاب بالمفهوم المعاصر بكل أنواعه وأساليبه، بل الأمر الواضح فيها ضرورة محافظة المسلمين على دواعي الرهبة من الله التي تمنعهم من القيام بأي من الأعمال الإرهابية، مؤكدة على أن أمر الله للمسلمين بالتحصن بجميع أنواع القوة المادية المتوفرة في كل زمن مهما كانت متطورة أمر ضروري يخلق الرهبة في قلوب أعداء الله وأعداء الدين الذين يظهرون العداء والذين لا يظهرونه فلا يجرو أحد منهم على النيل من المسلمين أو شن الحروب عليهم، وما هذا إلا لمنع قيام أي نوع من الأعمال الإرهابية، فالإعداد المادي هو قوة الروع المانعة للاعتداء، وامتلاك القوة لا يعني استعمالها بل لمنع الآخرين من التطاول واستعمال قوتهم، فكل دعوة لا بد لها من قوة تحميها وتثير الرهبة في قلوب أعدائها.

أما إذا اعتدى على المسلمين فلا بد من رد العدوان بأي وسيلة للأمر القرآني "وقاتلوا الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين" فيكون القتال هذا فرض عين على كل من يقدر عليه من الرجال والنساء بأية طريقة فهو ليس إلا مقاومة مشروعة للإرهاب ولا يسمى إرهاباً بحال من الأحوال.

(١) أبو هلال العسكري. مصدر سابق. ص ٢٣٦.

بأن أكثر من هذا فإن آيات القرآن الكريم أثرت السلام على الحرب في آيات كثيرة لا مجال لذكرها جميعها، ومنها "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله" الأنفال (٦١) وقوله "يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة" البقرة (٢٠٠).

الثانية: الإرهاب والتعاليم الإسلامية:

الإسلام دين السلام، اسمه مشتق من السلام والاستسلام لله تعالى، والسلام ضد الحرب، دين يدعو للمحبة والتعاون والامن، تحية أهله فيه (السلام) وليس من فراغ أن تذكر كلمة (السلام) في القرآن (٤٢) مرة من معان ومناسبات مختلفة^(١).

سبق أن بينت أن الإسلام يحرم كل أمر من شأنه أن يشيع الرعب وينشر الفساد بين الناس، الإرهاب بالمفهوم المعاصر هو في حقيقته اعتداء موجه ضد الأبرياء من النساء والأطفال والرجال أو التهديد بهذا الاعتداء وإطلاق راحة الآخرين وسلبهم أمنهم وهو أمر مرفوض من كل ضمير حي ولا يجوز في الإسلام الإقدام عليه ولا المساهمة فيه أو التخطيط له لا من الحكومات ولا المؤسسات أو الأفراد ويكفي أن نعلم أن هذه المعاني المرادفة للإرهاب اعتبرها الإسلام جرائم كبرى رتب لها عقوبات تتناسب مع جسامتها ومن ذلك:

١. حد الحرابة: وتسمى أيضاً قطع الطريق - وهي خروج طائفة مسلحة في "دار الإسلام" لإحداث فوضى وسفك دماء وسلب أموال وهتك أعراض وإهلاك الحرث والنسل، متحدية بذلك الدين والأخلاق والنظام والقانون، ولا فرق بين أن تكون هذه الطائفة من المسلمين أو الذميين أو المعاهدين أو الحربيين ما دام ذلك في دار الإسلام.

وكما تتحقق الحرابة بخروج جماعة من الجماعات فإنها تتحقق كذلك بخروج فرد من الأفراد إذا كان يملك من القوة والبطش ما يؤهله لذلك، ويدخل في مفهوم الحرابة العصابات المختلفة كعصابة القتل، وعصابة خطف الأطفال والنساء، وعصابة اللصوص للسطو على البيوت أو البنوك، وعصابة اغتيال الحكام ابتغاء الفتنة واضطراب الأمن، والأعصاب إتلاف الزرع وقتل المواشي^(٢) وهي معاني مرادفة لأساليب الإرهاب بالمفهوم الحديث فخروج جماعة على هذا الوصف يعتبر من الحرابة وهي مشتقة من الحرب وتعتبر من الجرائم الكبرى التي فرضت لها الشريعة الإسلامية أربع عقوبات وردت في قوله تعالى "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم جزاء في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم" المائدة (٣٣).

(١) - عبد العزيز الخطاط، مفهومات السلام والقوة الإسلامية التي تحكمه في الإسلام، ص ٢٩.

(٢) السيد سابق، فقه السنة، المجلد الثاني، ص (٤٦٢-٤٦٥).

فالقَتْل لمن قتل، ولا أثر هنا لعفو أولياء الدم في إسقاط القصاص لأنه أصبح من حقوق الله لحماية حقوق العباد^(١)، ثم عقوبة القطع من خلاف لمن أخذ الأموال ولم يقتل، وعقوبة القتل والصلب "بمعنى التشهير" لمن قتل وأخذ الأموال، وأوجب عقوبة النفي أو الحبس على قاطع الطريق الذي يثير الرعب بين الناس ويخيف السارة دون أن يقتل أو يأخذ الأموال.

٢. البغاة: وهو صورة أخرى من صور مكافحة الإرهاب في الفقه الإسلامي، وتعني خروج جماعة من المسلمين على الإمام وتمردوا على أوامره، ولقد تشددت الشريعة في عقوبة هذه الجريمة مخافة وقوع الفتنة والاضطراب بين الناس، ولأن التساهل فيها يؤدي إلى انفضى وعدم الاستقرار فجعلت عقوبتها القتل إذا لم يرتدعوا امتثالاً لقوله تعالى "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين" الحجرات (٩).

ومعظم الدول اليوم تعاقب على البغي بالإعدام وهو نفس العقوبة الإسلامية وأما الحكمة من وجوب قتالهم فهي إن استتباب الأمر للحاكم أساس كلي هام ليسود الأمن بين الرعية ويمنع الأعمال الإرهابية، ولذلك كان من الواجب على عامة المسلمين طاعة الإمام ولو كان جانرا شريطة أن تكون الطاعة بما لا معصية فيه، ذلك لأن عصيان العامة للإمام أخطر على المسلمين من جوره في حقهم^(٢).

٣. الصيال: الصيال لغة الاستطالة والمواثبة.

والصائل شرعا: كل من قصد مسلما بأذى من جسمه أو عرضه أو ماله وكلها من معاني الإرهاب المعاصر.

والأصل في حكم الصيال قوله تعالى "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم، واتقوا الله واعملوا أن الله مع المتقين" البقرة (١٩٤).

في هذه الآية توضح حكم الصائل وجواز قتله، ومقابلة اعتدائه بالمثل وإن استلزم ذلك قتله، ويدخل في معنى الاعتداء، الاستطالة بالأذى على النفس بالقتل أو المال بالسرقة أو العرض ويشترع للمصول عليه رد العدوان مع المحافظة على تقوى الله في ذلك.

(١) د. مصطفى الخن، الفقه المنيجي، ص (٤٤٤-٤٤٥).

(٢) د. مصطفى الخن، مصدر سابق، ص (٤٦٢).

٤. نظر فقهاء المسلمين الى الحرائم الخطيرة التي لها تأثير على أمن المجتمع نظره خاصة، ومن ذلك أنه لا يجوز عند المالكية العفو عن القاتل غيلة اي (على وجه المخادعة والحيلة والغدر) كما أعطوا الحاكم حق تعزيز القاتل الذي سقط عنه القصاص بالعفو من أولياء المقتول.

وهذا يدل على أن فقهاء الإسلام أدركوا خطورة الإرهاب على الأمن والسلامة العامة وهم يستمدون ذلك من روح الإسلام.

٥. القواعد الكلية من الثابت في الإسلام ومن أهمها قاعدة "لا ضرر ولا ضرار".

الثالثة: الإرهاب والأخلاق الإسلامية

لقد نصت الشريعة الإسلامية على التحلي بالأخلاق واعتبرتها جزءاً لا يتجزأ من الدين يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، وجميع الأخلاق الإسلامية تنهي عن القيام بالأعمال الإرهابية ومن أمثلة ذلك:

أ. خلق الرحمة.

من الأصول الخلقية وکلياتها العامة خلق (الرحمة) ولهذا الأصل فروع أخلاقية متعددة منها بر الوالدين، وصلة الرحم، ومنها إكرام اليتيم والعطف على الفقراء والمساكين والمرضى والخدم وذوي الحاجات والضعفاء والعجزة وذوي المصائب، ومنها التعاطف بين الأخوان والأصحاب والجيران وبين المسلمين عامة، ومنها الشفاعة الحسنة ولين الجانب للناس ومنها العفو والصفح عن المسيء ومشاورة رئيس الجماعة وقائدهم لأهل المشورة منهم رحمة بقلوبهم ونفوسهم التي يؤلمها الإهمال والاستبداد^(١).

وكل ذلك مؤيد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة منها: قوله تعالى: "وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين" المؤمنون (١١٨) وقوله "إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلمكم ترحمون" الحجرات (١٠).

ولهذا أرشد الله رسوله إلى مهمة رسالته، وهي أن يكون رحمه للعالمين فقال "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" الأنبياء (١٠٧). وثبت في الصحيح أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال "إنما أنا رحمه مهداة" رواه الدارمي وصححه الحاكم.

وورد عن رسول الله عدة أحاديث تحت على الرحمة منها، ما رواه الترمذي عن أبي هريرة "قل سعت أبا القاسم الصادق المصدق يقول "لا تنزع الرحمة إلا من شقى"

(١) عبد الرحمن بن حنكة، الأخلاق الإسلامية وأسماها، ج ٢، ص (٨-٧).

وروى الترمذي أيضا عن عبد الله بن عمرو قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "إن أرحمهم الرحمة، أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" والرحمة في الإسلام لا تقتصر على البشر، فنقد حث على معاملة الحيوان غير الناطق بالرفق والرحمة وإنني عن تعذيبه، روى البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال "عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت النار لا هي أطعمتها وسقيتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض".

وهكذا عمل الإسلام على غرس خلق الرحمة في قلوب المسلمين وتغذيته ليصبح خلقا يمنع أصحابه من القيام بأي عمل إرهابي غير مبرر، إلا أن الرحمة في قلوب المؤمنين لا تتعارض مع مظاهر الشدة مع من يستحقها لأن الغاية من هذه الشدة تحقيق أهداف الرحمة الحقيقية العامة فالشدة على أهل الشر تمنع شرورهم^(١).

ب. الرفق.

وهو من الأخلاق الإسلامية التي تمنع القيام بالأعمال الإرهابية وهو ظاهرة خلقية يضادها العنف، وقد أوصى الإسلام بالرفق وحث عليه، لأن العنف في معاملة الناس يورث العداوات والأحقاد ورغبات الانتقام بخلاف الرفق الذي يؤلف قلوبهم ومن أجل ذلك أمر الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بالرفق وحذر من العنف بعدة أحاديث منها ما روي مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله قال: إن الله تعالى رقيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه.

ومنها ما روى مسلم أيضا عن عائشة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لها "عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش، فإن الرفق لا يكون من شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه.

إن الإسلام دعى إلى الرفق بالمستضعفين عموماً، ومن جملة المستضعفين الرقيق الذي حث على معاملتهم بالحسنى والتجاوز عن أخطائهم ونهى عن ضربهم إلا في معصية الله وأمر السادة بإطعامهم مما يأكلون وكسوتهم مما يلبسون.

ج. التسامح الديني.

إن المجتمعات الإسلامية لم تخل قط من غير المسلمين في أي من العصور والمسلمون لم يكرهوا أحداً من غير المسلمين على الإسلام قال تعالى "لا إكراه في الدين قد

(١) حبكة. مصدر سابق. ص ١٠.

تبين الرشد من الغي" البقرة (٢٥٦) ولم يمنعوا غير المسلمين من العيش معهم، إذ ليس من نوازم الإيمان عداوة غير المسلمين ورفض معاشتهم في ظل الدولة الإسلامية.

إن تعاليم الدين الإسلامي نظمت علاقات المسلمين في مجتمعاتهم فيما بين المسلمين أنفسهم وفيما بينهم وبين غيرهم، ومن يستقرأ نصوص الشريعة ومعاملة النبي (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء لغير المسلمين لا يسهه إلا أن يكبر سماحة الإسلام التي تقياً بظلمها أهل الذمة والمستامنون فعاملوهم بالحسنى ولم يرغموهم على الإسلام، ونهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن التعرض لهم أو إيذائهم فقال: "من أذى ذمياً فإنا خصمه يوم القيامة ومن خاصمته خصمته" وأمرنا ديننا الخفيف أن نتركهم وما يعبدون، ولهم أن يحتكموا إلى دينهم في أحوالهم الشخصية من زواج وطلاق^(١).

وأما المستامن وهو الأجنبي الذي يدخل الأراضي الإسلامية فإن أحكام الإسلام تصون نفسه وماله وتدعو إلى رعاية مصالحه، ومن الجدير بالذكر لو أن حربياً دخل دار الإسلام مستامناً فأودع ماله عند مسلم أو ذمي أو اقرضهما إياه، ثم عاد إلى داره دار الحرب وانضم إلى الجيش الذي يقاتل المسلمين، فإنه لا يجوز أن تصادر أمواله ولا أن ينتقض الأمان الذي أعطي لماله وإن بطل الأمان لنفسه تمسكاً بقوله عليه السلام "المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً وحرم حلالاً" رواه الحاكم عن أنس.

فالتسامح مع غير المسلمين هو من صلب تعاليم الإسلام، فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وهم أحرار وما يعبدون وما يدينون ولهم الذمة والمنعة والحماية.

الرابعة: الإرهاب والجهاد.

يحاول أعداء الإسلام في المرحلة الأخيرة، تصوير الإسلام على أنه دين العنف والإرهاب والدموية، وأنه دين لا يسير إلا بالسيف وإن أتباعه عبارة عن متوحشين وقتلة، واستندوا في هذه الفرية على فريضة الجهاد" التي تحمل في زعمهم معنى اللاسلم، يقتل كل مخالف في العقيدة ويجبر الناس على اعتناق مذهب جديد بحد السيف والقوة، فالجهاد عند أعدائه مفهوم عدواني مرتبط بالإرهاب والواقع أن من اتهم الجهاد بهذا يجعل معناه وأهدافه السامية الرامية لتخليص الناس من الفساد والضياع، الجهاد رهينة الإسلام، اشتق من جذر كلمة الاجتهاد ومعناه بذل أقصى الجهد لاعلاء كلمة الله ونشر الدين الإسلامي والدفاع عن دار الإسلام، وهذا الدفاع كما يكون بالقتال يكون بالكلمة أو بالمال، فليس كل الجهاد قتالاً، وعندما يكون قتالاً فله أهداف كثيرة يمكن إيجازها بما يلي:

(١) محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، ص ٥٥.

١. إيجاد المناخ الصالح لعبادة الله بالقضاء على الفتن سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو إعلامية أو عسكرية، ونشر دعوة الإسلام وتأمين وصوله إلى أفراد البشرية جمعاء، قال تعالى "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين" البقرة (١٩٣).

٢. نصرة المظلومين والمستضعفين ورفع الظلم عندهم مهما كانت لغتهم أو جنسهم فكل مظلوم في الأرض من حقه رفع الظلم عنه لقوله تعالى "إذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير" الحج (٣٩) وكان الشعوب المظلومة تستقبل الجيوش الإسلامية وتساندها ضد حكامها الطواغيت، ومثالها لما دخل المسلمون بلاد الشام لنصرة المظلومين فيها، تحول أهلها إلى أنصار لجيش المسلمين ضد الروم الظالمين يبذلون في نصرته الأموال^(١).

٣. إرهاب العدو المتربص بالأمة الإسلامية حتى لا تستباح أرضها ويستذل أبناءها، وإعداد العدة التي ترهب العدو واجب شرعي لقوله تعالى: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" الأنفال (٦٠) ويدخل ضمن هذا الهدف الدفاع عن الأوطان ورد العدوان وهو هدف مشروع عالميا بل واجب، فكل القوانين المواثيق الدولية تقر حق الشعوب في دفع المعتدين والحفاظ على أوطانها، فالجهاد لا يهدف إلى دفع الناس بالقوة المسلحة لاعتناق الإسلام فهذا واضح مؤكد.

وسائل الجهاد:

إن وسائله لا تقل إنسانية ولا رحمة من أهدافه، فالجهاد فرض جمع بين شرف المقاصد ونقاء الوسائل ومن ذلك:

١. تبليغ الدعوة باللسان، الذي يجب أن يسبق القتال، فإنه لا يجوز القتال قبل الدعوة باللسان وشرح حقيقة الإسلام لقوله تعالى: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن" النحل (١٢٥) ويؤيد ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأمرأء الجند بعد أن يوصيهم بتقوى الله "اغزوا باسم الله في سبيل الله وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتنهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم.

٢. القتال لمن قاتل: عند اللجوء إلى منطق القوة والسلاح فإن هناك مبدأ عاما يحكم المجاهدين وهو عدم الإفراط في إراقة الدم فلا يقتل إلا من يقاتل بالفعل، أما غير المحاربين الذين لا يشتركون في القتال فإنه لا يجوز قتالهم بل يحرم^(٢) قال تعالى: "من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً" المائدة (٣٢).

(١) د. إبراهيم زيد الكيلاني ورفاقه، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ص (٢٨٨-٢٨٩).

(٢) وهبة الزحباي، العلاقات الدولية في الإسلام، ص ٦٦.

ومن هنا كان النهي في الإسلام عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والعجزة والمرضى والزهاد والعمال والفلاحين وجميع المدنيين الذين لا يشاركون في القتال ولا يهتمون فيه بالقول أو بالفعل.

ومن روح الإسلام استلهم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وصيته لأسامة بن زيد وجنده عندما بعثه إلى الشام "إني أوصيك بعشر، لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً أو هرماً ولا تقطن شجراً مثمراً، ولا تخربين عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لأكله ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه ولا تجبن"^(١).

٣. منع التخريب والأعمال غير الأخلاقية.

وللجهاد ضابط آخر وهو منع التخريب والتدمير للمنشآت المدنية والموارد البشرية، بالإضافة إلى تحريم الأعمال الأخلاقية كالنهب والسلب والتمثيل بالقتلى، وهو ما يرشد إليه قوله تعالى "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين" البقرة (١٩٠) والآية تحمل أمرين الأول، العدل بأن يقتصر القتل على المقاتلين، والثاني الإحسان في القتل فلا تعذيب ولا تشويه ولا تمثيل في الأجساد.

قال ابن كثير في تفسير الآية، أي قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك بأن لا تقوموا بارتكاب المناهي كما قال الحسن البصري من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم، جاء في صحيح مسلم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله للجند "اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع"^(٢) وقال في حديث آخر رواه مسلم عن شداد بن أوس "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قاتلتم فأحسنوا القتلة"، فالجهاد كما رأينا لا يحمل مفهوما عدوانيا وهو غير مرتبط بالإرهاب وإنما هو ترجمة حقيقية لإنسانية الإسلام ورحمته وأنه بعيد كل البعد عن المفاهيم الإرهابية والشوائب الدموية التي تختص بالحروب الدامية التي تجري في العالم ولا تحكمها شريعة ولا قانون ولا أخلاق"^(٣).

(١) ثقافة المسلم. مصدر سابق. ص ١٧٤. وإبراهيم زيد، مصدر سابق. ص ٧٠.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ٢٢٦.

(٣) د. محمد أبو يحيى، ثقافة المسلم وتحديات العصر. ص (٣٣٨-٣٣٩).

الإرهاب في الفكر الإسلامي

إن مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة، وهو يعني "المحاولات العقلية والجيود العلمية التي بذلها المسلمون منذ انتقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى جوار ربه لفهم الإسلام وعرضه، ومواجهة المشكلات الواقعة في ضوء أصوله ومبادئه"^(١).

والفكر الإسلامي بمعناه الواسع هو التصور الناشئ عن استجابة المسلمين للإسلام، فتخلصوا بهذه الاستجابة من الحيرة والضلال إلى الهداية والرشد، ومن الخمول إلى الحركة الواعية النشطة"^(٢). قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم" الأنفال (٣٤) وينشأ الفكر من تفاعل العقل الإنساني مع البيئة التي تحيط به، بما فيها من أشياء وما يجري عليها من أحداث وما يحكمها من وجهة نظر، والفكر الإنساني كأي جهد بشري معرض للصواب والخطأ تبعاً لوجه النظر التي يؤمن بها وقد يضل طريقه، وقد يصيب هدفه واحتمالات الخطأ فيه أكثر من احتمالات الصواب لأن الإنسان بطبعه ضعيف يعتريه النسيان وقد يخضع لأنواع الشهوات والأهواء.

ولكي يكتسب المرء فكراً جيداً لا بد له من المعالم الهادية والدلائل المرشدة والبراهين الساطعة التي تقوده وتوصله إلى الفكر السليم المستند إلى الوحي الإلهي المتمثل بالاستجابة لتعاليم الإسلام^(٣) فمقدار استجابة المسلمون لتعاليم دينهم من منابعها الأصلية كان لهم فكراً نقياً نظيفاً والعكس صحيح فهناك تناسب طردي بين نقاء الفكر وقوة الاستجابة للمنابع الأصلية.

والفكر الإسلامي كان نتاج الإقبال والاستجابة لتعاليم الله تعالى الواردة في كتابه الكريم وفي سنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" الأحزاب (٢١) فكان فكراً متميزاً يقوم على أسس ثابتة منها التوحيد الخالص، وإسلامية المصادر والقيم ووحدانية الدنيا والآخرة وشموله واستغناؤه عن غيره كما أنه يتميز بخصائص تجعل منه فكراً فريداً في العالم أبرزها إنسانية النزعة واحترام العقل والعلم، وتقديره للخبرات البشرية والمسلمون كغيرهم من البشر اعتري فكرهم بعض التشويش نتيجة الانحراف في تلقي تعاليم الدين الخفيف لأسباب مختلفة فأنحرف الفكر وأفرز أنواعاً من التطرف الديني والسياسي وكل كان له فرقة وحركاته التي كان لها ممارسات خاطئة بعيدة عن روح الدين فمارست الإرهاب في فترات من التاريخ الإسلامي، لقد طرأ على

(١) ثقافة المسلم وتحديات العصر، مصدر سابق، ص ٧٢.

(٢) دراسات في الفكر العربي الإسلامي، مصدر سابق، ص ١٠.

(٣) د. صالح هندي وزملائه، مصدر سابق، ص ٥١.

الفكر الإسلامي منذ انتقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) للرفيق الأعلى بعض الفساد بسبب البعد عن المنهج الحقيقي للإسلام والبعد عن سماحته الأصلية فظهرت حركات حاولت تطويع مبادئ الدين لأغراضها أما السياسية أو الدينية، فحاولوا لي أعناق النص القرآني أو النبوي لأسلحة أفكارهم ولخدمة هدف معين غالباً ما كان مكسب دنيوي، فمارسوا التطرف والتشديد.

والتطرف هو تجاوز الحد والغلو في السلوك أو الفكر أو الاتيين معاً والإسلام ضد التطرف، دين معتدل متوازن وسطي في جميع المجالات قال تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً" البقرة (١٤٣)، ولقد عاب القرآن على اليهود والنصارى غلوهم في دينهم بقوله "قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم" المائدة (٧٧) فكيف يعيب الإسلام على أهل الكتاب غلوهم في دينهم ثم يدعو بعد ذلك إلى الغلو والتطرف.

كما أن الأحاديث النبوية الشريفة نهت عن التطرف قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "هلك المتنطعون" (١) وقوله "ياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين" (٢).

أسباب التطرف.

١. انعدام المعرفة الشاملة للأحكام الشرعية والاكتفاء بالمعرفة الجزئية.
٢. الاعتداد بالنفس وعدم التواضع.
٣. الوقوف الحرفي عند ظواهر النصوص دون النظر في عللها.

ومن الأسباب أيضاً فساد الحكام وطغيانهم وتفريطهم في حقوق شعبهم واتباعهم أهواء بطانة السوء والحاقدين على الإسلام، ثم المطامع الدنيوية والمكاسب الشخصية (٣).

يلاحظ مما سبق أن بنية التفكير الإسلامي حصل فيها تحول تميز بظاهرتين الأولى عندما كان متلقياً واعياً كان الإسلام دعوة فكان لا يحمل إلا شروط الدعوة والثانية عندما تحول إلى سلطة (إما دينية وإما سياسية) فتلبس الإرهاب والقمع في صورة الإسلام، فأخذ هذا التفكير يتعامل مع المخالفين في الرأي ضمن الإسلام بلغة العنف الجسدي متناسياً قول النبي (صلى الله عليه وسلم) اختلاف أمي رحمة (٤).

(١) أخرجه مسلم، (٢٦٧٠).

(٢) صحيحه الزياتي في السلسلة الصحيحة (١٢٨٣).

(٣) د. صالح هادي، مصدر سابق، ص ٢٦٧.

(٤) د. محمد الراضي، مقال إرهاب المجاعات الإسلامية يعود بنا إلى حقبة غائبة، مجلة النهج، العدد ٥٦، ص ١٤٣.

نماذج عن ممارسة الارهاب في التاريخ الاسلامي.

١. السارسات التي كان ورائها فكريا متطرفا له مطامع سياسية او مالية اهميا حروب الردة، ومقتل الخلفيتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما) وموقعي الجمل وصفين ومقتل علي بن طالب ومذبحة كربلاء وغيرها.

٢. السارسات التي كان ورائها فكريا دينيا متطرفا فيرى بعض الباحثين انها ترجع في الاسلام الى حركة الخوارج التي انبثقت عنها العديد من الحركات، وكان سبب ظهورها رفضها مبدأ التحكيم الذي قتل به علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)، ومن اهم فرقهم الازارقة، واليزيدية، والنجدات، والميمونية، ولقد كانت لهم افكارا ومعتقدات خاطئة، تمادوا معها في تطرفهم وغلوهم وارتكبوا باسم مبادئهم أعمال القتل والسفك للنساء والأطفال والمسلمين من الشيوخ، كما استباحوا أموال المسلمين.

ان ممارسة أعمال العنف الناتجة عن فكر منحرف متطرف فتحت المجال لأعداء الدين لنعته بصفات بعيدة عن حقيقته دون البحث في أسبابها وشرعيتها، ومن الظلم الحكم على الإسلام من خلال تصرفات بعض المسلمين الذين انحرف عندهم الفكر فالعبرة بما شرعه الله لا بما يظهر من سوء فهم أو انحراف في التطبيق.

ان الإسلام دين يثير في قلوب اتباعه الرهبة من الله بعدم اقتفاف الظلم أو القتل أو أي من أعمال الإرهاب، فالرهبة من الله تمنع الإرهاب بين الناس بأن يسود بينهم التعاون والمحبة والتكافل الاجتماعي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أين الإرهاب من دين يعتبر من أحياء نفس كأنما أحياء الناس جميعاً ومن قتلها فكأنما قتل الناس جميعاً، إن الرهبة من الله والتمسك بتعاليمه تأمر بذلك.

أين الإرهاب من دين يدعو إلى احترام العهود والمواثيق، إن الرهبة من الله والتمسك بتعاليمه تأمر بذلك.

أين الإرهاب من دين يقدم السلم على الحرب، وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله، إن الرهبة من الله والتمسك بتعاليمه تأمر بذلك.

أين الإرهاب من دين يكرم الإنسان بوصفه إنساناً بعيد عن الدين والتعصب، إن الرهبة من الله والتمسك بتعاليمه تأمر بذلك "ولقد كرمنا بني آدم".

أين الإرهاب من دين منع التمييز العنصري بين الناس، إن الرهبة تأمر بذلك "كلكم لأدم وادم من تراب".

الخاتمة

يصلح الفكر الإسلامي إذا استقى تعاليمه من منابعها الأصلية الثابتة، وبصلاحه يأنى عن التصرف الديني، أو السياسي، ويعيش الرهبة من الله ليمنع الإرهاب، وإذا فسد وتشوش مارس الإرهاب. وإن الدين هو الذي يحارب الإرهاب، وأهل الدين هم الذين يحاربونه، وبما أن الدين يخلق الرهبة التي تمنع من ممارسة الإرهاب، والتي تستلزم الإعداد المادي الذي يخلق الرهبة أيضاً في قلوب أعداء الدين، فإن الرهبة من الله والرهبة من عباد الله الاشتداء تحارب الإرهاب فهما مفهومان لا يلتقيان أبداً بل إن الرهبة والإرهاب مفهومان متضادان بالفكر الإسلامي.

المراجع

٣. ابراهيم نافع، كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة، ط١، ١٤١٤-١٩٩٤، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة.
٢. ابن المنصور، لسان العرب، ج٥، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
١. ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير بن المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ج١.
٤. أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان.
١٤. الإمام أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ج٢، دار إحياء الكتب العربية.
٥. د. احمد التل، الإرهاب في العالمين العربي والغربي، (١٩٩٨)، ط١.
١٢. د. ابراهيم زيد الكيلاني وزملائه- دراسات في الفكر العربي الإسلامي، دار الفكر للنشر، ط١، ١٤٠٩-١٩٨٨م.
١٠. د. عبد العزيز الخياط، مفهوم السلام والقواعد الأساسية التي تحكمه في الإسلام، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان-نوفمبر ١٩٩٥م.
٢٠. د. محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، دار إحياء التراث العربي.
١٥. د. محمد ابو يحيى وزملائه، ثقافة المسلم وتحديات العصر، دار المناهج، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٨. د. محمد عوض الهزايمة، د. عدنان ماجد المجالي الجديد في القضايا الدولية المعاصرة، ط١، ٢٠٠٠م.
١٧. د. مصطفى الخن وزملائه، الفقه المنيجي على مذهب الامام الشافعي، المجلد الثالث، ط١، ١٩٩٨م، دار القلم، دمشق.

١٣. د. وهبة الزحيلي، العلاقات الدولية في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٨. د. وهبة الزهيني، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر - دمشق.
١٦. السيد سابق، فقه السنة، المجلد الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
٩. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٠د، ط٧، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
١١. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج٢، دار القلم، دمشق ط٣، ١٩٩٢م-١٤١٣هـ.

الدوريات:

١. مجلة الوحدة، العدد ٩٧/١٩٩٠م.
٢. مجلة العربي، العدد ٤٧٤- مايو ١٩٩٨م.
٣. مجلة النهج، العدد ٥٦-١٩٩٩م، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي.